القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

أهل الكهف

عبد الحميد جودة السحار

١٧

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

أهل الكهف

تأليف

عبد الحميد جودة السحار

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

١

كان النّاسُ يستعدُّونَ للذّهابِ إلى المَعبدِ في يوم العيد، فوقَفُوا في الطريق ينتظرون موكِبَ المَلِك ..

وجاءَ الملكُ في عَرَبةٍ فخْمة، تجرُّها خُيول، عليها الزِّينةُ من الذّهَبِ والفِضَّة، وكان معه فتْيانٌ من أبناءِ العُظماء. ولما رآه الناسُ ركعُوا له، وسارت عربته بين الناس الراكعين، حتى وصلت إلى المعبد. وهناك نزل هو وأبناءُ العظماء.

وكان في المعبد أصنام، وهي تماثيلُ من الحجَرِ صُنِعتْ على شكلِ إنسان، فلما وصل المِلكُ إليها سجدَ لها في احترام، وسجَد لها الفِتْية، ولكن أَحدَهم لم يسجدْ لها، وظهر عليه أَنه لا يحترمُها. ولاحظ الشُّبان أَبناءُ العظماءِ أنه لم يسجد معهم، أَمَّا

الملك فلم يَلحظْ ذلك ، لأنه كان مشغولا بعبادةِ التماثيل .

وانتهى الملكُ من عبادته ، وعاد فى عربتِه إلى قصرِه ومعه الفِتْيَة ، وسارتِ العربةُ بين الناس الراكعين على جانبى الطريق ، حتى إذا أُقْفِل بابُ القصر ، سُمِحَ للناس بالدخولِ إلى المعبد لعبادةِ الأصنام ، لأَنه لم يكن مسموحا لهم بالعبادةِ مع الملك

وجاءَ الليل ، وخرج الفِتيانُ من القصرِ ليذهبوا إلى بيوتهم ، ولكنّهم لم يتفرقوا إلى بيوتهم ، بل التفُّوا حول الشابِّ الذى لم يسجدْ للأَصنام ، وقالوا له :

ــ نريد أَنْ نحدِّثَك الليلة وتُحَدِّثَنا .

فقال لهم : ــ تعالَوْا إلى دارى .

فذهبوا معه إلى دارِه ، وقالوا له :

ـ لماذا لم تسجدْ اليومَ للإِلَه ؟

فقال لهم :

ـ إنّني فكرتُ في هذا الإلـه ، فوجـدتُ أنـه تمثـالٌ مِنَ الحجَرِ لا يسمعُ ولا يَرى ، ولا ينفـعُ ولا يضـرّ ، فوجدتُ أنه من الجنون أَن أسجدَ لحجر .

فقال له أَحدهم : ـ أَكفرتَ بآلِهَتِنا ؟

فقال الشاب :

ـ كفـرتُ بهـذه الحجـارة الخُـرْس ، وخرجـت إلى الفضاء ، ورفعتُ عيْنيَّ إلى السَّماء ، وسأَلتُ نفْسى : مَـنْ رفَـعَ هـذه السـماءَ ، ومَـنْ خَلَـقَ فيهـا شمسَـها وقمرَها ، ومنْ زيَّنهـا بـالنجوم ؟ ونظـرت إلى الأَرضِ وسأَلتُ نفسـي : مـن سـطحها ؟ ومـن أَنْبَـتَ الْحَـبَّ والعُشْـبَ والبَقْـلَ والأَشـجار فيهـا ؟ ومـن أَجْـرَى الأَنهار ، وخلَق الْجبال ؟ ثـم اهتديتُ إلى أَنَّ الّـذى

خَلَق هذه الأشياءَ ، لا بدَّ أَنْ يكونَ أَكبرَ منها ، وأَنَّهُ قُوَّةٌ عظيمةٌ لا نَراها ، فتوجَّهتُ إِلى هذه القُوَّةِ أَعْبُدُها .

فسكت الشُّبَّانُ قليلا ، ثم قال أَحدُهم :

ـ إِنِّنِى أَنا أيضا عرَفتُ أَنَّ هذه الحجارةَ التى يَعبدُها قومُنا لا قيمةَ لها ، لأَننى رأَيتُ الناسَ يَنْحِتُونها بأَيديهم ، ثم يَنْصِبُونها فى الْمعْبَد ويسجدون لها ، وفكَّرْتُ فى نفسى ، فوجدتُ أَنَّنى كنتُ جَنينًا فى بَطنِ أُمِّى ، ثم أَصْبَحْتُ صغيرًا آكلُ وأَشرب ، وأَسمعُ وأَرى ، ثم صِرت شابًّا وكبِرَ عقلى ، فصرتُ أُمَيِّزُ النافعَ من الضَّار ، وفكرْت فيمن خلقنى ، فاهتديتُ إلى أَنَّ من خلقنى لا بدَّ أَن يكون عظيمًا قادرا ، فأَخذتُ أَعبدُه وأُصلِّى له ،

وأَتوجَّهُ إِليه فى دُعائى .

استمرَّ الشُّبانُ يتحدثون حتى آمنوا جميعا وقالوا :

« ربُّنا ربُّ السَّمَواتِ والأَرض ، لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دونِه إِلَهًا ، لقدْ قُلْنا إِذًا شَطَطا » .

٢

صارَ الفِتْيانُ يَجتمعون كلَّ ليلةٍ فى بيتِ أَحدِهم ، يُصَلُّون لله ويعبدُونه ، وفى ذاتِ ليلة دخل عليهم أَحدُ أَعوانِ الملك ، فرآهم فى صَلاتِهم ، فسأَلَهم عمَّا يفعلون ، فقالوا له :

ـ إِنَّ قومَنا يعبدونَ حجارة ، ونحن نعبدُ اللّه الذى خَلق السماءَ والأَرضَ وما بَيْنَهُما ، فاتركْ دينَ قومِك ، وادخلْ فى ديننا القويم .

فقال لهم الرجل :

ـ إنى وجدْتُ آبائى على هذا الدِّين ، ولا أَستطيعُ أَن أَتركَ ما وجدتُ آبائى عليه .

فاستمر الفِتْيانُ يحاولونَ أَنْ يَدخُلَ الرجلُ فى دينهِم ، ولكنّه لم يقبلْ ، وتركهُم وذهب إلى الملك . فلما دخلَ عليه ، أَخبرَه أَن الفِتْيان الذين يلتفُّون حولَه قد تركوا دينَه ، ودخلوا فى دينٍ جديد ، فغضبَ الملك ، وعزمَ على أَنْ يذهبَ إليهم ليعذِّبَهم ، لتَرْكِهم دينَه .

علِمَ الفِتْيانُ أَنَّ الرجل سيذهبُ إلى الملك يشكوهم ..وأَنَّ الملِكَ سيغضَبُ عليهم ، ويَقْبضُ عليهم ليعذِّبَهم أو يقتلهم ، فتشاوروا فى الأَمر ، فرأَوْا أَنْ يهرُبوا من بلد الملك .

ركب الفِتْيَة خيولَهم ، وساروا حتى خرجُوا منَ المدينة ، ثم تركوا خيولَهم ، ومَشَوْا على أَرجُلِهم ،

فمرُّوا على صديق لهم فى حقلِه ، وكانَ يعرفُ ديانتَهم ، ويعبدُ اللّه مِثلَهم ، فقال لهم :

ـ إلى أينَ أنتُم ذاهبون ؟

فقالوا له :

ـ علِم الملِكُ أنّا تركْنا دينَه ، ولا بدَّ أنَّه الآن يبحث عنا ليقتلَنا ، فهربْنا منه .

فقال الشاب :

ـ إنِّى ذاهب معكم .

وانضمَّ الشَّابُّ إليهم ، وسارَ معهم ، وتبعَه كلبُه ، واستمرُّوا فى سَيْرِهم حتى جاءَ الليل ، فبحثوا عن مكان يَبيتُون فيه ، فوجدُوا فى الجبلِ كهْفا ، فذهبوا إليه والكلبُ خلْفَهم ، فقال أَحدُهم .

ـ إننا نخافُ أَن يفضحنا هذا الكلبُ بنُباحِه .

فطردوه ، ولكنه عاد إليهم ، فقال صاحبه :

ـ دعوه يحرسْنا من عَدُوِّنا .

ودخلوا الغارَ وناموا ، ونام الكلبُ على باب الغار ، وبسط ذراعيه .

٣

خرج الملكُ في حَرَسِه وجنودِه ، يبحثُ عنِ الفِتيان الذين تركوا دينه ، ودخلوا في دينٍ آخر ، حتى اهتدى إلى الكهفِ الذى لجأُوا إليه ، فنظرَ فوجد الشمسَ تمرُّ على باب الكهف ، فلا تدخُلُهُ أَشِعَّتُها ، ويبقى مظلما كما كان ، فاستغربَ وأَحسَّ بخوف ، فأَمرَ رجالَه بالدخول ، فأَحسُّوا بالرعب ، ولم يستطع أَحدٌ منهم أَن يدخل . وقال أَحدهم للملك :

ـ إِنك تريدُ أَن تقتلَهم .

فقال الملك :

- نعم .

فقال الرجل :

- سُدَّ عليهم باب الكهف ، واتركْهم فيه يموتُون عطَشًا وجوعا . فأُعجِب الملِك بالفكرة ، وأَمر ببناءِ باب الكهف . وقال فى سخرية :

- إنْ كان لهم إلهٌ غيرُ آلهتِنا فليُخرجْهم من هذا الكهف !

٤

استيقظ الفتيانُ من نومهم ، فوجد كلٌّ منهم جسمَه موجوعا من النّومِ ، وسأَل أَحدهم : كم مكَثْنا فى هذا الكهف ؟

فقالوا له : مكثْنا يومًا أَو بعضَ يوم .

وشعروا بالجوعِ فقالوا : إِننا جِياع .

فقال أَحدهم :

ـ أَذهبُ فأَشترى لكم طعاما من السوق .

ـ قد يعثرُ عليك الملك ، ويَقْبضُ عليك .

ـ سأَذهبُ دونَ أَن يُحسَّ بى أَحد .

وقام الشابُّ ، فلما مر ببابِ الكهف رأى حجارة مبنية ، ولم يجد إلاَّ فتحةً صغيرةً يدخلُ منها النور ، فنَقَض الحجارةَ وخرج ، وسار فى الطريق وهُو يتلفَّت ، خوفًا أَن يقابلَه أَحد رجال الملك ، فيقبض عليه .

ولكنه رأَى الطريقَ يختلفُ عن الطَّريق الذى سـ فيه ، ومر بمواضعَ لم يكنْ يعرفُها ، ووصل إِلى بار المدينة ، فوجده يختلفُ عن الباب الذى يعرفه ، ففر عَيْنيه ، وضرب رأْسَه بيده ، فقد حسب أَنه يحلُم

وتلفّت حولَه وهـو يَعْجَب فـى نفسـه كيـف تغـيرتْ الدنيا فى ليلةٍ واحدة .

ومرّ علـى الحَوانيـت فوجدَهـا غـير التـى يعرفُهـا ، ونظر في وجوه النـاس ، فلـم يعـرفْ أحـد . ووقَـفَ يُفكِّرُ فيما جرى ، فلم يهتد إلى شيءٍ .

وأَخـرج قطعـةَ نقـودٍ فِضِّيَـة ، وذهــب إلى خبَّــاز وأَعطاهُ إياها ، وطلـب منـه أَن يُعطِيَـه خـبزا ، فـأَخذ الخباز قطعةَ النقود ، وجعل يقلِّبها فـى حَيْرة ، فقـال الشابّ :

ـ ماذا جرى ؟

ـ هذه القطعة الفِضِّية !

ـ ماذا بها ؟ قطعة من النقود عليها صورة الملك .

فقال الخباز : صورةُ أَىِّ ملِك ؟

ـ ملـكُ هـذه البـلاد ، إن هـذه القطعـةَ اشـتَرَيتُ

بمثلها طعاما بالأَمس .

- لا بدَّ أَنك قد وجدتَ كَنزا ، فهذه قطعة نقودٍ قديمةٍ جدا ، وليستْ من نقودِ هذا الزمان .

- إِننى لم أَتركْ هذه المدينة إِلا أَمس .

فقال له الخباز :

- لا تسْخَرْ منِّى ، ولن أتركك ، سأُسْلِمُك للشُّرْطِىِّ ليُسْلِمك للملِك .

فقال الشابّ :

- إن الملك سيقتُلنى ، لأَننى تركت دينَه ، تركت عبادةَ الأَصنام ، وعبدتُ اللّه وحدَه لا شريكَ له .

فقال الخباز :

- لا تحاول أَن تخْدَعَنى . إِننا لا نعبدُ الأَصنام ، وإِن ملكنا لا يقتلُ الذين يعبدون اللّه .

ثم نادى الشرْطىّ ، وأَراه قطعة النقود ، فنظر

الشرطيُّ إلى الشابِّ ، وقال له : هيَّا معى إلى الملك ، لأنَّ هذه نقودٌ أثرية ، ولا بدَّ من تسليمها للملك . وسار الشاب وهو مبهوتٌ إلى قصرِ الملِك ، فلما دخلَ وجدَ ملِكا آخرَ لا يُشبهُ الملك الذى هربوا منه ، وكان الملك عادلا ، فقال :

ـ ما قصة هذا الفتى ؟

فقال الشرطى : لقدْ وجدَ كَنْزا !

فقال الشابّ :

ـ أنا من أهل هذه المدينة ، ولم أجدْ كنزا فهذه نقودى .

فقال له الملك :

ـ اذكر أسماءَ من تعرفهم من هذه المدينة .

فراح الشاب يذكر أسماءَ من يعرفهم ، فلم يعرفوا منهم رجلا واحدا .

فقال الشاب :

ـ خرجتُ بالأمسِ هاربا من الملك دقْيانُوس .

فقال الملك فى عجب :

ـ الملك دِقْيانُوس ؟ لقد ماتَ من أكثر من ثلاثمائةِ سنة .

فقال الشابّ :

ـ أكثر من ثلاثمائة سنة ! إننى تركتُه بالأمسِ فقط .

فقال الملك : هذا غير معقول .

فأخرج الشابّ النقود التى معه ، وقدمها إلى الملك ، وقال :

ـ هذه النقود عليها رسْمُه ، وقد اشتريتُ بها بالأمس طعاما .

فأخذ الملك النقود ، وراح يقلبها بين يديْه

ويقول :

ـ إن أَمرَك عجيب ، هذا النقدُ من ثلاثمائة سنة !

فقال الشابّ :

ـ وهل نِمنا فى الكهفِ ثلاثمائة سنة ؟!

فقال الملك : نِمتم ؟ مَنِ الذين ناموا .

فقال الشابّ :

ـ أَنا وأَصحابى الذين فرُّوا من الملك دِقْيانُوس .

فقال الملك :

ـ إننى لا أَستطيع أَن أُصدِّقَ ما تقول ؟

ـ إذا كنت لا تصدِّقُنى ، تعال واسأَل أَصحابى .

وركبَ الملكُ ورجالُه ، وركبَ الشابُّ معَهم ، وساروا ، فلما اقتربوا من الكهف ، قال الشابُّ للملك ومن معه :

ـ يا قوم ، إِنى أَخافُ أَنَّ أصحابى يُحِسُّونَ وَقعَ

أَرجل الخيل ، فيظنونَ أنّ دِقْيانوس جاءَ يطلُبُهم ، فيموتون من الخوف ، فقِفوا قليلا حتى أَدخلَ إِليهم وأُخبِرَهم الخبر .

فوقفَ الملكُ ومنْ مَعه ، وذهبَ الشابُّ إِلى أَصحابه، فلما رَأَوْه قالوا له :

ـ الحمدُ لله الذى أَنقذك مِنْ دِقيانوس .

فقال الشابّ :

ـ دعونا من دِقيانوس ، كم مكثْتم فى الكهف ؟

قالوا : لَبِثْنا يومًا أَو بعضَ يَوم .

قال :

ـ بل لَبِثْتُمْ ثلاثَمائة سنة وتسع سنوات ، وقد مرّت عليكُم تلك السنونُ وأَنتم نيام ، وقد ماتَ دِقيانوس وتغيَّرتِ الدُّنيا ، وأَصبحتْ غيرَ الدُّنيا .

عنْدَ ذلك أَحسَّ الفِتيانُ بالنوم فناموا ، وانتظر

المَلِك ، وطال انتظاره ، ثم ذهبَ يبحثُ عن الشَّابّ ، فوجدَه وأَصحابَه قد ماتوا .

فقال الملك :

ـ سبحانَ اللّه ! هذه معجزةٌ عظيمة ، وقد أرانا اللّه أَنّه قادرٌ على أَن يُحْييَ هؤلاء الشبان بعد أَكثرَ من ثلاثمائة سنة ، وهو قادرٌ على أَن يُحييَ الناسَ جميعا بعد أَنْ يكونوا ترابا .

« قال الذين غَلَبُوا على أَمرهم : لَنتخذَنَّ عليهمْ مَسْجدا » .